المجلة السياسية والدولية

اسم المقال: الحروب الاهلية اللبنانية (1841 – 1860) دراسة تحليلية في اصولها السياسية والاجتماعية
اسم الكاتب: أ.م.د. عبد الامير محسن جبار
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/1924
تاريخ الاسترداد: 2026/09/17 04:51 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من الصفحة الخاصة بالمجلة السياسية والدولية على موقع المجلات الأكاديمية العلمية العراقية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

الحروب الاهلية اللبنانية (١٨٤١-١٨٦٠)
دراسة تحليلية في اصولها السياسية والاجتماعية

الاستاذ المساعد الدكتور
عبد الامير محسن جبار(*)

هذه الدراسة تهدف لبيان طبيعة السياسة الفرنسية الطائفية في لبنان، إذ إنها سعت من خلالها لفرض سيطرتها على المشرق العربي للاستفادة من خيراته ومن موقعه الإستراتيجي المهم بالنسبة لمصالحها في البحر المتوسط عن طريق تذرعها بستار الدين، بحجة الدفاع عن مصالح وحماية الأقليات المسيحية في لبنان، وكانت تهدف من وراء ذلك التغلغل في لبنان وتحطيم الوحدة الوطنية بين أبناءه، وقد استغلت فرنسا مكونات الشعب اللبناني المختلفة وتدخلت في تشجيع فئة على حساب أخرى من اجل خلق التجزئة السياسية وترسيخ الطائفية في البلاد وقد جاءت الدراسة على المباحث التالية:

(*) معاون عميد كلية العلوم السياسية –الجامعة المستنصرية

أولا: بداية الأطماع الفرنسية في جبل لبنان:

تعود بداية الأطماع الفرنسية الى الوطن العربي بصورة عامة وبلاد الشام بصورة خاصة مع بداية الحروب الصليبية في القرن الثاني عشر الميلادي، إذا أوجدت هذه الحروب علاقة مميزة بين فرنسا والموارنة[1]، إذ قدم الموارنة للحملة الصليبية الأولى إدلاء يرشدونهم الي الطرق والمعابر، وإرسال فرقة من النشابة[2] المتطوعين، وكان الملك لويس التاسع[3]، أول صديق فرنسي لهم، وبعد نزوله في مدينة عكا جاء وفد من الموارنة محملين بالهدايا والمؤن، وسلمهم لويس التاسع رسالة في ٢١/ أيار ١٢٥٠م بموجبها تتعهد فرنسا بحمايتهم إذ جاء فيها: "نحن مقتنعين بأن هذه الأمة التي تعرف باسم القديس مارون هي جزء من الأمة الفرنسية"[4].

اخفت فرنسا إطماعها وراء ستار الدين، وكانت فرنسا تسعى لفرض سيطرتها على المشرق العربي للاستفادة من خيراته ومن ثم الاستفادة من موقعه الإستراتيجي المهم[5] بالنسبة لمستقبل المصالح الفرنسية في البحر المتوسط وقد صرح جورج بيكو وزير سابق للبحرية الفرنسية، بان: "محور السياسة الفرنسية قائم في البحر المتوسط... وان احد قطبي هذا المحور قائم في الغرب أي في تونس ومراكش

---

1 الموارنة: طائفة مسيحية شرقية تابعة لكنيسة روما الكاثوليكية أسسها راهب سوري يدعى مارماروت ومنه اخذوا اسمهم، عاش هذا الراهب في أواخر القرن الرابع الميلادي في منطقة قورش في انطاكيا، وكان عضوا في الكنيسة السورية وقع خلاف عقائدي اضطره الى النزوح الى منطقة افاميا واسمها اليوم قلعة المضيف وتقع بجوار نهر العاصي مات القديس مارون في عام ٤١٠م وشيد تلاميذه في هذه المنطقة ديراً أسموه باسم القديس مارون، ويعد هو أبو الطائفة المارونية للمزيد من التفاصيل ينظر: الأب بطرس ضو تاريخ الموارنة الديني والسياسي والحضاري من مارماروت الى ماريوحنا مارون (٣٢٥-٧٠٠م)، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٧، ص٢١٣ وما بعدها.

2 النشابة: وهم مجموعة من الرماة بالنشاب أي السهم، ينظر: لويس معلوف، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط١٧، د.ت، ص٨٠٨.

3 لويس التاسع: (١٢١٤-١٢٧٠) ملك فرنسا قاد الحملتين الصليبيتين السابعة والثامنة اشتهر بفضائله وقداسته وتوفي في تونس، ينظر:

The Mc Craw, Hill Encyclopedia of world Biography, vol, 6, 1973, pp.578-579.

4 فيليب حتي، لبنان في التاريخ منذ أقدم العصور التاريخية الى عصرنا الحاضر، ترجمة: انيس فريحة، مراجعة: نقولا زيادة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٥٩، ص٣٩٢.

5 احمد كلشر، فرنسا والشرق العربي أحلام صليبية، مجلة الوحدة، العدد ٣٢٥، أبو ظبي، ١٩٨١، ص١.

والآخر في المشرق عبر سوريا ولبنان، اللذين يشكلان احد الميادين المفضلة لنشاط [illegible][٦].

بعد انتصار العثمانيين على المماليك في معركة مرج دابق ١٥١٦م أصبحت [illegible] الشام جزء من الدولة العثمانية، وقسم العثمانيون الشام الى ويلات ثلاث وهي [illegible] دمشق وولاية حلب وولاية طرابلس، وكان من أساليب العثمانيين في إدارة البلاد [illegible] اعطتها عصبيات أو أسرات حاكمة ان تترك الأمور الداخلية في يد هذه العصبيات [illegible] من التبعية للسلطان العثماني، ولهذا تركت السلطات العثمانية الحكم في جبل [illegible] لأمراء بني معن ثم لأمراء آل شهاب[٧].

استفادة الأمارة المعنية[٨]، من سطحية الحكم العثماني، فبدأت في توطيد نفوذها [illegible] سيطرتها، ومما لاشك فيه ان الأمارة المعنية كانت قد ركزت نشاطها في منطقة [illegible] الشوف وأخذت مكانة الأمارة تطفو على سطح السياسة في المنطقة ابتداء من عهد [illegible] الذي يمكن ان نعده بداية تفوق الأمارة المعنية في الجبل، وبلغت الأمارة ذروة [illegible] في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني[٩]، إذ بلغت مساحتها من نهر الوادي في [illegible] حتى منطقة العريش في مصر، وأصبح يطلق على فخر الدين الثاني لقب [illegible] البر[١٠].

[illegible] سعود ضاهر، تاريخ لبنان الاجتماعي (١٩١٤-١٩٢٦)، دار الفارابي، بيروت، ط١، ١٩٧٤، [illegible].

[illegible] فيليب حتي، المصدر السابق، ص٤٤٠-٤٤١.

[illegible] الأمارة المعنية: حكم المعنيون جزءاً كبيراً من لبنان مدة ١٨١سنة، ولا يعرف الكثير عن اصل [illegible] العائلة التي دخلت لبنان عند مطلع القرن الثاني عشر واستوطنت منطقة الشوف وجعلوا من البلدة [illegible] عاصمة لهم، بلغت قوة المعنيين السياسية التي كان قد أسسها فخر الدين الأول ذروتها في [illegible] حفيدة فخر الدين المعني الثاني، ومن ثم أخذت تضعف رويداً رويداً الى ان زالت أخيرا بموت [illegible] احمد عام ١٦٩٧ سبط فخر الدين الثاني ينظر: فيليب حتي خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق [illegible]، الدار المتحدة للنشر، بيروت، مج٢، ط١، ١٩٧٥، ص١٤٩.

[illegible] فخر الدين المعني الثاني (١٥٧٢-١٦٣٥) أمير لبناني ولد في بعقلين، وتسلم إمارة فيها، وإنشاء [illegible] وتعاقد مع أمراء توسكانيا ليقدموا له الخبراء في صب المدافع، ثم قصد ايطاليا بعد اضطراره [illegible] مغادرة لبنان، وعقد مع بعض أمرائها معاهدة لتقديم العون لكنهم خذلوه فعاد سراً الى لبنان [illegible] بأعوانه ثم عفا عنه السلطان العثماني وجعله والياً على صيدا ثم منحه نابلس وعجلون [illegible] مزارعين من ايطاليا لتعليم اللبنانيين طرقهم في الزراعة، انتفض على الحكم العثماني لكنه [illegible] ونفي الى استانبول حيث قتل فيها. ينظر: عيسى اسكندر المعلوف، تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني، منشورات المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٦، ص٤٤ وما بعدها؛ محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥، [illegible].

[illegible] جمال زكريا وآخرون، الازمة اللبنانية: أصولها، تطورها، إبعادها المختلفة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٨، ص٣١.

أدى هذا التفوق المادي والسياسي والعسكري الى تصاعد مخاوف السلطات العثمانية، التي بدأت تخطط لتوجيه ضربة حاسمة للامير فخر الدين الثاني، وبالفعل شنت الدولة العثمانية هجوماً ضخماً على الأمارة المعنية وطاردت الأمير، حتى قضت عليه[١١]، ونظراً لان العثمانيين كانوا يتبعون الأسلوب السطحي نفسه في الحكم اكتفت بإعلان آل المعن الخضوع للسلطان العثماني وظل الحكم في البيت المعني[١٢].

انشأ العثمانيون ولاية صيدا عام ١٦٦٠ لتراقب الأمارة المعنية ولقطع الطريق على اللبنانيين ولإخماد الروح الاستقلالية فيهم، وبسبب تعدد الولايات العثمانية المحيطة بالأمارة المعنية توزعت أجزاء هذه الأمارة بين ولاية دمشق وطرابلس وصيدا، وكان هذا الوضع سبباً في تنافس الولاة العثمانيين على تبعية الأمارة لأي منها إذ كان احمد باشا والي دمشق ينافسه والي صيدا الذي كانت دائرته تمتد الى النصف الشمالي من جبل لبنان والى بيروت أحيانا ولكن كان والي دمشق يمد سيطرته حتى بيروت، وقد أدى هذا الوضع الى ان يسعى الأمير اللبناني الحاكم الى ان يستغل تلك المنافسات في الحفاظ على منصبه وعلى أمارته[١٣].

عادت فرنسا علاقتها بالمشرق إذ كانت من أوائل الدول الأوربية التي أبرمت اتفاقيات مع الدولة العثمانية، وكان أولها معاهدة الصداقة بين الملك فرانسوا الأول والسلطان العثماني سليمان القانوني في شباط ١٥٣٥[١٤]، وقد احتوت هذه المعاهدة على عدة بنود منها منح الرعايا الفرنسيين حرية الملاحة في المياه الإقليمية للإمبراطورية العثمانية، وحرية التجارة وتخفيض نسبة الكمارك والمحافظة على أموالهم، وأطلق على هذه التسهيلات التي منحت لرعايا الدولة الفرنسية اسم "الامتيازات" وترجع أهمية هذه المعاهدة الى إنها تعد منظمة لحياة الرعايا الفرنسيين وأقامتهم في أقاليم الدول العثمانية وتمتعت فرنسا في ظل هذه المعاهدة من الناحيتين القانونية والعملية بمركز متميز ومرموق في الولايات العثمانية[١٥].

---

[11] فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ص٤٦٥-٤٦٧؛ عيسى اسكندر المعلوف، المصدر السابق، ص٢٠٢ وما بعدها.

[12] جمال زكريا قاسم وآخرون، المصدر السابق، ص٣٢.

[13] المصدر نفسه، ص١٧-١٨.

[14] بول بولطا وكلودين ريللو، سياسة فرنسا في البلاد العربية، ترجمة: كامل فاعور ونخلة فريج، مراجعة: عطا حمادة، دار القدس، بيروت، د.ت، ص١٤؛ نقولا زيادة، إبعاد التاريخ اللبناني الحديث، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٢، ص٣٣-٣٤؛

Foreign Office, Syria and Palestine, London, 1920, P.24.

[15] حكمت فريحات، السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى (١٩١٦-١٩٢٠)، دار السلام للنشر والتوزيع، عمان، ط٢، ١٩٨٧، ص٢١.

تلت معاهدة الصداقة، معاهدة أخرى بين الدولتين في ١٨ تشرين الأول ١٥٦٩م، وبموجبها أباحت حرية التنقل للرعايا الفرنسيين بين الموانئ العثمانية وممارسة التجارة فيها، وضمنت لهم الحريات الفردية والدينية والتجارية، كما ضمنت لهم الحصانة في منازلهم وإعفاءهم من الخضوع للقانون المدني وقانون العقوبات العثمانية، وحددت هذه المعاهدة انواع البضائع التي يحق للفرنسيين المتاجرة بها، وعينت الرسوم الكمركية المفروضة عليها[١٦]. عمدت الحكومة الفرنسية استناداً الى الامتيازات التي حصلت عليها الى التدخل في أقطار المشرق العربي لصالح قوافل الحج الكاثوليكية الذاهبة الى بيت المقدس[١٧]، وعقد الملك هنري الرابع (HENRY4) [١٨] معاهدة صداقة مع السلطان العثماني في العشرين من أيار عام ١٦٠٤ بموجبها عمل على تجديد الامتيازات وأضاف اليها مكسباً آخر هو الاعتراف لملك فرنسا بحق حماية المسيحيين الكاثوليك من رعايا في الشرق وان يسمح لهم بالعيش بمأمن وطمأنينة وحرية التنقل دون عائق[١٩] وتبنى لويس الرابع عشر (LOUIS14)[٢٠] في عام ١٦٤٦ قضية الجالية المارونية في لبنان إعقاب زيارة الأساقفة المارونين لفرنسا[٢١].

أخذت فرنسا تنمي مصالحها في بلاد الشام، وعدت نفسها حامية الموارنة في جبل لبنان، وتوثقت عرى الصداقة بين الموارنة والفرنسيين، فقاغمت فرنسا في الخامس

---

[١٥] علي محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وايطاليا من الوحدة العربية ١٩١٩-١٩٤٥، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٥، ص١٤.

[١٦] رافت غنيمي الشيخ، التاريخ المعاصر للأمة العربية الإسلامية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩١، ص١٠٤.

[١٧] هنري الرابع (١٥٥٣-١٦١٠): أول ملك من أسرة آل بوربون على فرنسا اشتهر بشجاعته وسرعة بديهته واهتمامه بعامة الشعب، أنكر في البداية البروتستانتية وعاد إليها بعد ذلك وعينه هنري الثالث وريثاً افتراضياً إلا ان العصبة الكاثوليكية رفضت ذلك وبعد وفاة هنري الثالث هزم جيش العصبة، وفي عام ١٥٩٤ تمكن من دخول باريس وفي عام ١٦٠٠م تزوج من ماري مديشي. ينظر محمد شفيق غربال، المصدر السابق، ص١٩٠٨-١٩٠٩.

[١٨] رافت فريحات، المصدر السابق، ص٢٣.

[١٩] لويس الرابع عشر، ملك من أسرة آل بوربونن حكم فرنسا في عام ١٦٤٣م بعد وفاة والده وفي عهده قويت فرنسا وأصبحت دولة كبرى، ويطلق المؤرخون على عصر لويس الرابع عشر "قرن الملكية المطلقة" التي مارسها لويس بأقصى حدودها مما جعله أعظم عصره في أوربا فمارس نفوذاً واسعاً على كل الملوك والأباطرة المعاصرين له فلقبه الفرنسيون بـ"الملك الشمس" الذي دلور شأنه في جميع المجالات وجعل منها دولة كبرى توفي في عام ١٧١٥م، ينظر:
The Mc Grew- Hill Encyclopedias.., OP-Cit, Vol6, P.586-588.

[٢٠] محمد أنيس ورجب حراز، الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٧، ص١١٥.

من آذار عام ١٦٥٥ بتعيين أبو نوفل الخازن وهو احد مشايخ آل الخازن الموارنة في جبل لبنان نائب قنصل لفرنسا في بيروت، ثم قنصلاً لها عام ١٦٦٢م[٢٢].

كانت لهذه الصلة بين الموارنة والفرنسيين ذات فائدة للموارنة من الجانب السياسي إذ أدى الأمر الى تغير خطير في ميزان القوى المارونية-الدرزية، لحلول الموارنة محل الدروز في السيطرة السياسية[٢٣].

انتقلت الأمارة في جبل لبنان في عام ١٦٩٧م من المعنيين الى الأسرة الشهابية، بعد وفاة أخر أمير حاكم من بيت معن دون عقب ذكره له وحصلت فترة قلق وفوضى ونشب نزاع بين الأسر الكبيرة وتنافسوا على الحكم بينما كان العثمانيون يراقبون هذا الوضع[٢٤].

إما بالنسبة للامتيازات الفرنسية، فظلت تتأرجح بين التجديد والتجميد حسب السياسة الفرنسية التي كانت تنتهجها الحكومة الفرنسية تجاه الدولة العثمانية، وتمكن لويس الخامس عشر (Louis 15)، من تجديد الامتيازات في الثامن والعشرين من أيار عام ١٧٤٠م، وأضفى عليها صفة "الأبدية" وأصبحت هذه الامتيازات قانون الفرنسيين الذين يعيشون بمقتضاه في بلاد الدولة العثمانية[٢٥].

مع قيام الثورة الفرنسية في عام ١٧٨٩م، عمل رجالها على المحافظة على علاقة فرنسا مع الدولة العثمانية، لذلك قامت الأخيرة بالاعتراف بالثورة الفرنسية ولكن هذه العلاقة لم تدم وقتاً طويلاً وخصوصاً بعد قيام الفرنسيين بقيادة نابليون بونابرت (Napoleon Bonaparte) باحتلال مصر ومن ثم زحف الى بلاد الشام[٢٦]. كان اقتراب الحملة الفرنسية من لبنان قد عزز التوتر بين الموارنة والدروز، فقد انتظر الموارنة وصول الفرنسيين بشوق فيما خشي الدروز خشية شديدة[٢٧].

وصل نابليون الى مدينة عكا في الرابع من آذار عام ١٧٩٨م، وفرض حصاره عليها، إذ تحصن فيها والي صيدا احمد باشا الجزار، ولهذا أخذت مكانة الأسرة

---

22 ونظراً لخدماته منح الملك لويس الرابع عشر الى أبي نوفل الجنسية الفرنسية، واخذ أحفاد نوفل الخازن يتوارثون هذا المنصب حتى عام ١٧٥٨ وجرى فيما بعد تعين مارونيين آخرين في هذا المنصب منهم غندور السعد من عين تراز كبير معاوني الأمير يوسف الشهابي، للمزيد ينظر: فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ص٤٨٥-٤٨٦.

23 كمال سليمان الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٦٧، ص٤٢-٤٣.

24 سليم بطرس اوسابيوس، دليل مراحل لبنان عبر التاريخ، د.م، ١٩٥٥، ص٢٤؛ زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٨، ص٢٦٢.

25 حكمت فريحات، المصدر السابق، ص٢٤.

26 محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجليل، بيروت، ط١، ١٩٧٧، ص١٨٠-١٨٤.

27 كمال سليمان الصليبي، المصدر السابق، ص٥٠.

الشهابية ترتفع في نظر القوى المتصارعة، وتوالت المكاتبات وأرسل احمد باشا الجزار يطلب المساعدة من الأمير بشير الشهابي الكبير[٢٨]، فاعتذر الأخير عن تلبية الطلب متظاهراً بانهماكه في إخماد الفتن التي يثيرها عليه أقاربه في الجبل[٢٩]، وتلقى الأمير بشير الشهابي رسالة من قبل نابليون جاء فيها: "بعد ان تم امتلاكي على القطر المصري بكامله قطعت الصحراء ودخلت الأراضي السورية واحتللت حصونها التي كانت بيد الجزار وأرغمته على الاعتزال في عكا، وقد أسرعت لإطلاعك على ما تقدم لعلمي بما في ذلك من دواعي السرور والارتياح، فان انتصاراتي هذه قد قضت على طغيان رجل وحش كان شراً على الجنس البشري وعلى الأمة الدرزية الشجاعة، وفي حين ان احقق استقلال الأمة الدرزية واخفف عنها الجزية المفروضة عليها لتؤمن حرية تجارتها واتساعها، واني راغب في ان تحضر شخصياً في اقرب وقت ممكن لوضع التدابير اللازمة لإنقاذك من عدونا المشترك"[٣٠]. لم يجب الأمير بشير الشهابي على الرسالة فبعث نابليون الى الأمير برسالة ثانية يعاتبه فيها على إهماله الرد فوقعت هذه الرسالة بيد والي صيدا احمد باشا الجزار[٣١].

كذلك وصلت الى الأمير بشير الشهابي رسالة من سدني سميث (Sadny Smith) قائد القوات البحرية البريطاني في البحر المتوسط حث فيها الأمير ورجاله على التعاون مع احمد باشا الجزار ضد الغزو الفرنسي[٣٢]، إلا ان الأمير بشير الشهابي

---

[٢٨] الأمير بشير الشهابي الكبير (١٧٦٠-١٨٥٠) ولد في غزير (بالقرب من بيروت) قربه والي عكا احمد باشا الجزار فولاه إمارة لبنان، عمل في تعزيز الإدارية فضرب رجال الإقطاع ووطد الأمن والنظام في لبنان، حالف الأمير بشير محمد علي باشا على العثمانيين عام ١٨٣١م ثم انهاه الوهابيون الى جزيرة مالطا عام ١٨٤٠م اهتم بالمشاريع العمرانية وبنى في بيت الدين قصراً العلم توفي في اسطنبول، ونقلت رفاته الى بيت الدين عام ١٩٤٨، ينظر: خير الدين الزركلي، الاعلام دار العلم للملايين، بيروت، ج٢، ط٥، ١٩٨٠، ص٥٧.

[29] David Urquhart, the Lebanon history and Diary, vol 1, Republished by Gregg International Publishers Limited, London, 1972, p.122.

[٣٠] كان نابليون بونابرت في رسالته على الدروز دون الموارنة وذلك ان مكانة الدروز كانت هي الاعلى حتى ذلك الوقت وكان بونابرت بحاجة الى كسب القوى الأقدر على تقديم المساعدة له وكذلك كان الدروز في الأمارة الشهابية كان للدروز فقد اتجه إليهم بونابرت دون إتباع السياسة التقليدية التي اتبعتها بعض الحكومات الأوربية التي كانت تسعى لدى مسيحي الشام للتنسيق معهم ضد الدولة العثمانية. للمزيد من التفاصيل ينظر: جمال زكريا قاسم وآخرون، المصدر السابق، ص٤٣-٤٤.

[٣١] كان الأمير بشير الشهابي تعمد ايقاعها في يد احمد باشا الجزار تحسباً من المستقبل، ينظر: فيليب طرزي اوسابيوس، المصدر السابق، ص٤٨.

[٣٢] للمزيد من التفاصيل حول رسالة سدني سميث الى الامير الشهابي الثاني، ينظر: عبد العزيز سليم نوار، وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث ١٥١٧-١٩٢٠، جامعة بيروت العربية،=

لم يقدم المساعدة الى والي صيدا ولا الى نابليون واثر الوقوف على الحياد[٣٣]، ويشير يوسف السودا[٣٤]، بأن نابليون أدرك حرج موقف الأمير فاكتفى منه بملازمة الحياد وبعدم الميل عليه مع الجزار.

بعد فشل نابليون في دخول مدينة عكا الذي استمر القتال ٦٤ يوماً[٣٥] اضطره الى رفع الحصار عن المدينة والعودة الى مصر إذ ترك جيشه فيها وعاد الى فرنسا بسبب تطور الأوضاع هناك[٣٦].

من آثار هذه الغزوة المباشرة انعكاسات على السياسية اللبنانية فقد أراحت ولو مؤقتاً أمير لبنان من مضايقات والي صيدا، فضلاً عن إنها شدت من حمى التوتر بين الموارنة والدروز، وما ان فشلت الحملة وتراجع القائد الفرنسي حتى اخذ احمد باشا الجزار الانتقام من الأمير بشير الشهابي لعدم تلبيته طلبه، واخذ الجزار التدخل بالشؤون الداخلية اللبنانية، بإسناد الأمارة الى بعض الأمراء من الأسرة الشهابية المناؤين للأمير بشير، ووصل حالة الجبل في فوضى لم يعرف لها مثيل، كذلك ساعدت هذه الغزوة الجبل في انفتاحه على الغرب، اذ فتحت الابواب في وجه المؤثرات الحديثة وهي ظاهرة من اخصب الظواهر في تاريخ المنطقة[٣٧].

توجه الامير بشير الشهابي الى قبرص ثم الى مصر اذ قابل هنالك الصدر الاعظم سليمان باشا (قائد الحملة العثمانية على مصر) وعلى اثرها التقى سليمان باشا

=١٩٧٤، ص١٥٨-١٥٩؛ المسعودي، الدولة العثمانية في لبنان وسورية، حكم أربعة قرون ١٥١٧-١٩١٦، د.م، ١٩١٦، ص٥٦؛

David Uraquhart OP.cit P.122

A-L-Tibawi, A modern History of of Syria including Lebanon, and Palestine, Macmillan, First published, London, 1969, P.37..

34 حيث خشي بشير الشهابي من انتقام الجزار له واثباتاً لعذره في الحياد اهدى نابليون جواهر الى بشير بندقية ثمينة عربون المودة والصداقة، في سبيل لبنان، طبع بمطبعة مدرسية الصناعية الاسكندرية، ١٩١٩، ص١٦٤.

35 قام بعض الخبراء البريطانيون في تحصين الثغر تحصيناً قوياً وفقاً لاحدث النظم الحربية انطونيوس ابي خطار، مختصر تاريخ جبل لبنان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٣، ابراهيم جلال بك ، من يوميات الجبرتي، دار اخبار اليوم، د.ت، ص٩٨.

36 تواترت الانباء الى نابليون بتاليف حلف اوربي ضد فرنسا، للمزيد ينظر: احمد ومحمد قاسم، التاريخ الحديث والمعاصر، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٩٥٦، فؤاد شكري، الصراع بين البرجوازية والاقطاع ١٧٨٩-١٨٤٨، دار الفكر العربي، ١٩٥٨، ص٣٧٨-٣٧٩.

37 ملحم قربان، تاريخ لبنان السياسي الحديث، الاستقلال السياسي، المؤسسة الجامعية والنشر والتوزيع، بيروت، ج١، ط٢، ١٩٨١، ص٦٨-٩٦.

الجزار واقنعه السماح للامير بشير بالعودة الى جبل لبنان[٣٨]، ولم يسلم الامير بشير من ضغوط والي صيدا حتى عام ١٨٠٤م اذ توفي الجزار وبهذا ازيلت عقبة رئيسة كانت تعترض سبيل الامير بشير لتحقيق اغراضه، وبدأ الامير بتوطيد مركزه في لبنان وما ان حل عام ١٨١٩م اصبح سيد لبنان المطلق[٣٩].

خضعت بلاد الشام من بينها جبل لبنان في الاعوام (١٨٣٢-١٨٤٠م) الى سيطرة محمد علي باشا، وقد احدث الاحتلال المصري لبلاد الشام تغيراً خطيراً في الوضع الدولي اذ اعلن الباب العالي ان محمد علي خرج على السلطة وارسل جيشاً بقيادة ابنه ابراهيم باشا من بلاد الشام[٤٠].

اصطدم ابراهيم باشا بالجيش العثماني عند مضيق بيلان[٤١] فهزم الجيش العثماني وتمكن ابراهيم باشا بعد ذلك من دخول انطاكيا واصبحت جيوشه على مشارف جبال طوروس واستنجد السلطان العثماني محمود الثاني[٤٢]، بالدول الكبرى، وانكلترا كانت مشغولة اذ بريطانيا كانت منهمكة في شؤونها الداخلية والاوربية[٤٣]، بينما فرنسا كانت متحمسة لفوز محمد علي، اذ ان الفرنسيين كانوا ينظرون الى والي مصر وكأنه خليفة نابليون الروحي في مصر فلم ينجد السلطان العثماني الا روسيا[٤٤].

لقد هال ظهور البوارج الروسية في الاستانة كل من فرنسا وبريطانيا فسارعتا الى عقد صلح بين محمد علي والسلطان العثماني وعرف باتفاق "كوتاهية" وبموجبه

الخوري منصور الحتوني، من تاريخ لبنان نبذة مختصرة في المقاطعة الكسروانية، نقحها وهذبها وشرحها: يوسف ابراهيم يزبك، د.م ط٢، ١٩٥٦، ص١٨٠.

المصدر نفسه، ص١٨٢؛ كمال سليمان الصليبي، المصدر السابق، ص٥٢.

احمد عزت عبد الكريم واخرون، تاريخ العالم العربي في العصر الحديث، دار سعد مصر للطبع والنشر والاعلان، القاهرة، د.ت، ص٩٠.

وقع مضيق بيلان بين انطاكيا والاسكندرونة.

محمود الثاني (١٧٨٤-١٨٣٩) سلطان عثماني جلس على العرش عام ١٨٠٨م بعد خلع اخيه مصطفى الرابع، استمرت في عهده الحرب الروسية-التركية (١٨٠٦-١٨١٢) وفقدت فيها الدولة العثمانية بسارابيا ولكنها عوضتها باسترجاع صربيا ١٨١٣م، اخمد ثورة علي باشا والي يانينا القضاء على ثورة اليونانيين في المرحلة الاولى من حرب الاستقلال اليونانية، وابادة عام ١٨٢٦م فرق الانكشارية لتمردهم على النظام وفي عهده غزا محمد علي فلسطين وسوريا والاناضول، توفي قبل ان تصله اخبار اندحار جيشه في معركة نزيب، وتسليم الاسطول التركي لمحمد علي بالاسكندرية، ينظر: محمد شفيق غربال، المصدر السابق، ص١٦٦٣.

احمد رستم، بشير بين السلطان والعزيز ١٨٠٤-١٨٤١، الخوري منصور الحتوني، منشورات الجامعة اللبنانية قسم الدراسات التاريخية، القسم الاول، بيروت، ١٩٥٦، ص٨٥-٨٩؛ هاشم صالح التميمي، المسالة الشرقية، المرحلة الاولى ١٧٧٤-١٨٥٦، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد ١٩٩٠، ص١٣١.

كمال سليمان الصليبي، المصدر السابق، ص٦٢-٦٣.

اعطي لمحمد علي بلاد الشام بشرط ان ينسحب من الاناضول[٤٥]. ولكن روسيا رفضت ان تسحب بوارجها الا بشروط وبالفعل عقدت معاهدة هنكار اسكلسي في تموز عام ١٨٣٣م وبموجبها بلغ النفوذ الروسي اوجه في السلطنة العثمانية[٤٦].

لم تطمئن فرنسا وبريطانيا الى هذه المعاهدة واستمرت فرنسا في تأييدها لمحمد علي، على امل ان يضمن لها نجاحه مقام الصدارة في المنطقة ورفضت القبول باية تسوية على حسابه، وقررت بريطانيا ازاحة محمد علي من بلاد الشام[٤٧].

كان الحكم المصري في بلاد الشام بصورة عامة وفي جبل لبنان بصورة خاصة حكماً ممقوتاً فلاً عن نفقات الاحتلال الباهظة فبدأ ابراهيم باشا باتخاذ عدة اجراءات تعسفية منها استخدام السخرة والتجنيد الاجباري وفرض ضرائب فادحة[٤٨] وحاول الفرنسيون في جبل لبنان باقناع الاهالي من النصارى بان الضرائب الباهظة التي فرضها محمد علي لها ما يبررها عقب التهديد باشهار الحرب عليه من قبل بريطانيا والدول الكبرى ولكن هذه المحاولات لم تفل في تهدئتهم[٤٩].

بدأ التقارب بين مختلف الطوائف المناهضة للحكم المصري، واتفق الموارنة والشيعة والسنة والدروز في انطلياس في الثامن من حزيران عام ١٨٤٠م على التضامن فيما بينهم ثم على الثورة على المصريين[٥٠]. واصدر البطريرك يوسف حبيش

---

45 تختلف اتفاقية كوتاهية في سائر الاتفاقيات كونها تمت شفهياً، ينظر: اسد رستم، المصدر السابق، ص٩٣-٩٤.

46 ذوقان قرقوط، تطور الفكرة العربية في مصر ١٨٠٥-١٩٣٦، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٢، ص١٠٠-١٠٨؛

Derek Hopwood, The Russian Presence in Syria and Palestine 1843-1914 (Church and politics in the Near East) Clarendon press Oxford, London, 1969, P.6-7

47 كمال سليمان الصليبي، المصدر السابق، ص٦٤،٦٨.

48 انطوان كتافاكو، فتوحات ابراهيم باشا المصري في فلسطين ولبنان وسريا، وثائق تاريخية عن تقارير انطوان كتافاكو قنصل النمسا في عكا وصيدا ١٨٣١-١٨٤١، ترجمة: الخوري بولس قرألي: مطبعة القديس بولس، حريصا، ١٩٣٧، ص٣٨؛ الخوري منصور الحتوني، المصدر السابق ص٢١٦-٢١٧.

Nina F. Harik, Politics and Chang in traditional Society Lebanon, 1711-1845, Princeton University press, New Jersey, 1968, p.244.

49 احمد طربين، ازمة الحكم في لبنان منذ سقوط اسلارة الشهابية حتى ابتداء عهد المتصرفية (١٨٤٢-١٨٦١) دراسة في التاريخ السياسي والاجتماعي، د.م، ط١، دمشق، ١٩٦٦، ص٥١.

50 فيليب حتي، المصدر السابق، ص٥١٥؛

Nina F. Harik, op. cit., p.245.

نداء بالثورة على المصريين واصدرت السلطات العثمانية مراسيم عدة تحرض على الثورة وكان لبريطانيا دور كبير في التحريض اذا اخذت تشحذ الهمم في جبل لبنان[٥١].

حاولت فرنسا وهي الدولة الكبرى الوحيدة التي نصرت محمد علي وساعدته في وقت الثورة في لبنان عليه ولكن موقفها كان دقيقاً فقد كان الثوار الموارنة ينتظرون مساعدة ملك فرنسا لويس فيلي[٥٢]، وكان محمد علي يعلق عليه الآمال ولكن محاولات الفرنسيين في حث البطريك على وقف الثورة فشلت، وسعى الفرنسيين لدى محمد علي تقديم تنازلات معينة للموارنة بوقف الثورة وكان المشروع الفرنسي يقوم على ما يأتي:

١. عودة المنفيين من عكار وسنار.
٢. الغاء التجنيد.
٣. الحكم الذاتي لجبل لبنان على ان يدفع ضريبة سنوية لوالي مصر. ولكن هذه الجهود الفرنسية لم تحرز تقدماً، وبذلك فشل الفرنسيون مع الجانبين[٥٣].

قررت بريطانيا ازاحة محمد علي من بلاد الشام وبدأت اتصالاتها مع الدول الكبرى (بروسيا، النمسا، روسيا) واتفقوا على الحول دون انهيار الامبراطورية العثمانية وارسلوا مذكرة مشتركة طالبوا فيها السلطان العثماني على قطع المفاوضات السرية مع محمد علي، اما فرنسا فأثرت الاستمرار في تأييد محمد علي، وطالت المفاوضات بين الدول الكبرى، لكن فرنسا لم تبدل موقفها، فما كان من الدول لا انها قررت بالعمل فقعدت مع العثمانيين في ١٥ تموز ١٨٤٠م معاهدة لندن، وفيها عرضت الدول على محمد علي ولاية مصر وراثياً، وولاية عكا مع الجهات الشامية الجنوبية مدى الحياة، على ان يعلن قبوله بهذا العرض في مدة عشرة ايام، فاذا لم يفعل سحب الدول عرضها الخاص بولاية عكا، اما اذا لم يجب في مدة عشرين يوماً، سحب الدول عرضها بكامله[٥٤].

---

[٥١] زكريا قاسم وآخرون، المصدر السابق، ص٧٥؛ كمال جنبلاط، في مجرى السياسة اللبنانية، [illegible] دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص٥٧.

[illegible]: ولد في باريس ١٧٧٣، من عائلة آل بوربون حكم فرنسا من عام ١٨٣٠ الى [illegible] عهده الازدهار الثقافي والاجتماعي واسقط حكمه بثورة شباط ١٨٤٨م، ينظر:
The Mc Graw-Hill Encyclopedis., Op. Cit., Vol6, p.593-594.

[illegible] زكريا قاسم وآخرون، المصدر السابق، ص٧٦.

[illegible] على معاهدة لندن ينظر: هيلينا كوبان، لبنان ٤٠٠ سنة من الطائفية، ترجمة وتقديم سمير [illegible] منشورات هاي لايت، لندن، ١٩٨٥، ص٣٨-٣٩؛ اسد رستم، المصدر السابق، ص١٨٥

A. B. Cunningham, The early correspondence of Richard [illegible] 1831-1841, vol, London, 1966, p.152-153.

ثارت ثائرة فرنسا على هذه المعاهدة، لكنها كما قدر وزير خارجية بريطانيا بالمرستون، لم تكن على استعداد للمغامرة بحر مع الدول الاوروبية في سبيل محمد علي، وشرعت الدول الاخرى باتخاذ تدابير احترازية، فأمرت بريطانيا اسطولها في البحر المتوسط بقطع جميع المواصلات البحرية بين مصر والموانئ الشامية[٥٥].

في الحادية عشر من ايلول عام ١٨٤٠م ظهرت البوارج البريطانية والنمساوية في مياه بيروت، وقصفت بيروت بالمدافع، ونجحت الدول الحليفة من السيطرة على المناطق الساحلية، وفي الثالث من تشرين الثاني من العام نفسه سقطت عكا اهم موقع ساحلي للمصريين[٥٦]، ونجحت بعد ذلك في سحق قوات ابراهيم باشا الذي اضطر الى الانسحاب الى مصر[٥٧].

كان تأثير الحملة المصرية على بلاد الشام بشكل عام وجبل لبنان بشكل خاص عميقاً جداً، فبعد ان التزمت فرنسا جانب محمد علي رافضة القبول بأية تسوية على حسابه، كان من الطبيعي ان تجد دعايات الفرنسيين وتحركاتهم صدى بين الموارنة بينما التزمت بريطانيا جانب السلطان العثماني فوجدت دعاياتهم وتحركاتهم استجابة بين الدروز، فكانوا ثائرين على محمد علي، فضلاً عن انها دقت اسفينا قوياً بين بريطانيا وفرنسا[٥٨]. وبانتهاء الاحتلال المصري، انتهى عهد الامير بشير الشابي الكبير في جبل لبنان الذي ساند محمد علي وتم نفيه الى مالطا[٥٩].

من خلال ذلك يتضح بأن القوى السياسية الخارجية ادت دوراً خطيراً في اثارت حركة التمرد التي وقعت في جبل لبنان عام ١٨٤٠، وانها لم تكن ردة فعل للاحداث الخارجية فقط، بل انها عكست ازمة اجتماعية معقدة فقربت بين الفلاحين والمشايخ الاقطاعيين في وجه الخطر المشترك، اذ انتفض الفلاحون الموارنة والدروز ضد الاضطهاد والظلم والسيطرة المصرية الممقوتة، وثار المشايخ لاستعادة ما فقدوه في عهد الامير بشير الشهابي الكبير من امتيازات وحقوق ومكانة، فوحدوا مسعاهم فضلاً عن ما تلقوه من دعم خارجي كان الفضل في تعزيز حركتهم.

---

55 كمال سملان الصيبي، المصدر السابق، ص٦٨.

56 اسد رستم، المصدر السابق، ص٢١٢-٢١٣.

Malcolm H. Kerr, Lebanon in the Last Years of Feudalism (1840-1868), Beirut, 1959, p.3.

58 احمد طربين، المصدر السابق، ص٥٢.

59 جواد بولس، تاريخ لبنان، ترجمة: جورج حاج، مراجعة: يوسف الحوراني، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٢، ص٣٤٥؛

Malcom H.Kerr, op-cit, p.3.

الحروب الاهلية اللبنانية

الحرب الاولى عام ١٨٤١م

بعد انتهاء حكم الامير بشير الشهابي الكبير عام ١٨٤٠م بدأ عهد جديد في تاريخ جبل لبنان، اذ اكتسب الموارنة قوة اكثر من التي اكتسبوها في عهد الامير بشير، فمشاركتهم في جلاء القوات المصرية زادتهم ثقة بانفسهم، وبدأت تتكون لديهم فكرة استقلالية، وتكون لدى بعضهم امل بتخليص الجبل كله، والتحكم فيه بتأييد من فرنسا ودعمها[٦٠].

جربت كل من الدول الاوربية الكبرى ان تتخذ من الوسائل السياسية والاقتصادية والمالية ما يكفل لها بسط نفوذها في المنطقة، ولاسيما اذا كان عامل الدين والطائفية من افضل واخصب هذه الوسائل واخطرها اثراً على الطوائف المختلفة، وكان القناصل والممثلون والعملاء ادواراً غاية في الخبث لاثارة النعرات وبلبلة الناس وزرع الفتن والمكائد[٦١].

ومن بين هؤلاء الكولونيل روز (Rose) القنصل البريطاني الذي جاء الى بيروت عام ١٨٤٠ وكان هدفه الاول هو اسقاط النفوذ الفرنسي في المنطقة العربية، التي كانت لكلمته قيمتها في الدوائر العثمانية في بلاد الشام[٦٢]. وحاولت بريطانيا التقرب من الموارنة الا انهم لم يفلحوا حيث بعث القنصل البريطاني في بيروت روز تقرير الى حكومته يقول فيه: "ان الموارنة مستسلمون نفساً وجسداً الى فرنسا، وعليه فمن الاكثرا ان تختار في الامر بل امسى من المحتم عليها عضد الدروز"[٦٣].

نتيجة لذلك حول البريطانيون اهتمامهم الى الدروز فبدءوا باثارة شكوك الدروز تجاه فرنسا، بوصفها حارسة الموارنة فسرت الشائعات عن تسليح الفرنسيين للمسيحيين ضد الدروز وعن وقوف قوات فرنسية على اهبة الاستعداد لدعم المسيحيين في اي اضطراب، ولم يستغرب الدروز لهذه الشائعات، اذ شهدوا قيام بعض الرهبان الموارنة رفع العلم الفرنسي على اديرتهم فعدوها تحدياً لهم[٦٤].

---

[60] فارسن، المصدر السابق، ص٥٤.

[61] Earl Carnarvon, Recollection of the Lebanon, Notes on the religion, third Edition, London, 1861, p.119-120; Foreign office, op-cit, p.33.

[62] انطوانيت قاسم واخرون، المصدر السابق، ص٨٤.

[63] فريد الخازن، مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية في سوريا ولبنان، مطبعة الصبر، مج١، ١٩١٠، ص٧٧؛ فؤاد شاهين، الطائفية في لبنان، حاضرها وجذورها التاريخية والاجتماعية، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٠، ص٩٠.

[64] سليمان الصليبي، المصدر السابق، ص٩٠.

كذلك بذل القنصل الروسي في بيروت بازيلي (Bazely) اهتمامه الى الدعوة لحشد صفوف الطائفة الارثوذكسية تحت الراية الروسية مع الحرص على توسيع الخلاف بين الارثوذكس والموارنة ضد الكنسية الكاثوليكية وبذلك ظهر نفوذ ديني جديد يجابه النفوذ الفرنسي، فضلاً عن قنصل النمسا في بيروت فكبكر (Fkbker) اذ صرح منذ وصوله قائلاً: "ان حماية الكاثوليك في الشرق اصبحت الان من حق النمسا"، ولم يكتف بذلك بل قدم للبطريرك الماروني مبلغ (٤٥٠٠) ليرة ذهبية ليوزعها على المنكوبين، كما وزع مبالغ اخرى على رجال الدين الروم الكاثوليك وخاطبهم بحضور البطريرك بأن حكومته مستعدة لدفع مليون فرنك اذا قبلت الطوائف الكاثوليكية حماية امبراطور النمسا[٦٥].

ارسلت فرنسا قنصلها بورية (Boure) الخبير بشؤون الشرق والسياسة العثمانية، وكانت فرنسا تبذل جهوداً للحفاظ على نفوذها عند الدروز وكانت تريد ابقاء الموارنة والدروز بعيدين عن تأثير بريطانيا والنمسا وروسيا ومما قاله القنصل الفرنسي بوريه: "ان وجود النصارى ضروري للدروز، وان وجود الدروز لا غنى عنه لضمان كيان النصارى"[٦٦].

اما في الداخل فكانت الحالة شديدة الاضطراب، وخصوصاً سوء ادارة بشير الشهابي الثالث[٦٧] الذي اكتسب عداوة الجميع، وبعد عودة زعماء الدروز الاقطاعيين الذين اجبروا على ترك البلاد في اواخر الحكم المصري طالبوا بالحقوق والامتيازات التي خسروها، الا ان بشير الثالث رد هؤلاء واتخذ تدابير تزيد في اضعاف نفوذهم وجرد اخرين من بعض ما تبقى لهم من سلطة، ودبر ايضاً خطة لتنفيذ مذبحة لهم ولكن من حسن حظ الدروز ان القنصل الفرنسي كان لا يزال يسعى الى كسب ود الدروز الى جانبه، فحذر الزعماء الدروز مما يدبر لهم[٦٨].

وفي ايلول عام ١٨٤١م وقعت حادثة كانت الشرارة الاولى لاشعال نار الفتنة وكانت بداية الاصطدام بين الدروز والموارنة، ذلك ان مارونياً اصطاد حجلاً على ارض لاحد دروز بلدة بعقلين فوقع من جراء ذلك خصام اتخذ في الحال صبغة طائفية، اذ اغارت جماعة من مسيحي دير القمر على بلدة بعقلين بالسلاح فقتلوا ...

---

65 احمد طربين، المصدر السابق، ص٥٥-٥٦.

66 كمال سليمان الصليبي، المصدر السابق، ص٨٨.

67 بشير الشهابي الثالث: حاكم لبنان (١٨٤٠-١٨٤١) المعروف بالصغير، كان ضعيف الارادة عاجز عن امساك زمام الحكم، فاسلم نفسه للاتراك فارسلوه الى الاستانة وتوفي فيها عام ... ينظر: فردينان توتل، المنجد في الادب والعلوم، معجم لاعلام الشرق والغرب، المطبعة الكاثوليكية بيروت، ط١، ١٩٦٠، ص٧٧.

68 البعد التاريخي للحرب الاهلية اللبنانية بحث منشور في الانترنت على الموقع الثاني: www. Maqatel. Com; Eart carnarvon, op-cit, p.17.

عشر درزيا[٦٩]، ولكن ما ان علم البطريرك الماروني بالحادث فأرسل وفداً لتسوية المسألة واعلن مشايخ الدروز عن صدق رغبتهم في نسيان الحادث[٧٠].

وانتهز الدروز دعوة الامير بشير الثالث لزعمائهم في ١٣تشرين الاول١٨٤١م لمناقشتهم في نظام توزيع الضرائب الجديد، وتقدموا نحو دير القمر وحاصروا قصر الامير، وهاجم فريق منهم دور المسيحيين في المدينة، وتحول القتال الى كارثة مروعة للمسيحية الموارنة دير القمر[٧١]، وما ان سمع البطريرك بما حدث في دير القمر حتى اغلق ابواب الكنائس وطلب من كل مسيح ان يحمل السلاح وهاجمت القوات المارونية معظم المواقع المتفرقة الدرزية لينتشر لهيب الحرب الاهلية بسرعة في البلاد، وكان من الواضح منذ البداية ان كفة الدروز ارجح، اذ سيطروا على المناطق المارونية في الجنوب، واتجهوا بعد ذلك الى مناطق الشمالية ووقف الروم الارثوذكس الى جانب الدروز اذ كانوا يعتقدون ان التفوق الماروني يعرضهم الى اضطهاد ماروني يهدف مواجهم من عقيدتهم[٧٢].

عندما اشتد الضغط الدرزي على الموارنة استنجد الاخير بالسلطات العثمانية والقنصل، ولاسيما بالقنصل الفرنسي، واثيرت الدوائر الفرنسية الحكومية والشعبية ضد الحرب الاهلية، وتوالت على الفرنسيين استنجادات الموارنة وتقارير قنصلهم تحثهم على القيام بعمل ايجابي لانقاذ الموارنة، وكانت السلطات الفرنسية مستعدة لان تقدم على خطوات تحافظ بها على مكانتها بين الموارنة لان هزيمتهم توحي بانها خسارة فرنسا في بلاد الشام، ولهذا ارسلت الحكومة الفرنسية وحدات من بحريتها الى المواني اللبنانية وما ان وصلت حتى اجتاحت الموارنة موجة من الفرح ، ورفع العلم الفرنسي فوق بعض الاديرة، ووزعت القنصلية الفرنسية السلاح على الموارنة، واعلن الفرنسيون عن انحيازهم الكامل بجانب الموارنة، وبذلك فقدوا الدور الذي كان من الممكن ان يقوموا به في التوفيق بين الدروز والموارنة[٧٣].

اثار هذا الامر كل من العثمانيون والبريطانيون والدروز، ورأت السلطات العثمانية ان فرصتها لفرض نظام الحكم المباشر، واوفدت مصطفى باشا اذ اجتمع مع زعماء لبنان، واعلن انتهاء حكم اسوة آل شهاب وقرأ فرمانا باسناد الحكم في جبل لبنان

---

[٦٩] فواز اقرام البستاني، مذكرات رستم باز، منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات التاريخية، بيروت، ١٩٥٥، ص١٠٥.

[٧٠] فاضل سليمان الصليبي، المصدر السابق، ص٨٠.

[٧١] احمد غريبن، المصدر السابق، ص٦٢؛

Iliya F. Harik, op-cit, p.105.

[٧٢] احمد الصغير، بنور معروف (الدروز) في التاريخ، مطبعة الاتقان، بيروت، د.ت، ص٨٢-٨٣؛ العرض التاريخي للحرب الاهلية اللبنانية بحث منشور في الانترنيت، المصدر السابق.

[٧٣] فاضل زكريا قاسم واخرون، المصدر السابق، ص٨٩.

الى عمر باشا النمساوي، قابل الدروز الاجراءات العثمانية بالترحيب والرضا بينما امتعض الموارنة من ذلك[٧٤]، لا وعارضت فرنسا الاجراءات العثمانية لانها تحد من نشاطهم في البلاد[٧٥].

اسفرت هذه الحرب والتي عرفت بـ "الحركة الاولى" عن مقتل ٣٠٠٠رجل، وعن دمار في الممتلكات تقدر قيمته بنصف مليون دولار، واحرقت قصور الشهابيين[٧٦].

عجز عمر باشا النمساوي في ان يظفر بولاء الدروز او الموارنة وتعاونهم معه وزداد التوتر مرة ثانية، وفشل العثمانيون في اعادة الحكم المباشر الى جبل لبنان[٧٧] كما ان السفراء الاجانب رفضوا المشروع العثماني، وعلى اثر ذلك قدم الفرنسيون مشروعاً هو ان يحكم جبل لبنان امير مسيحي وعودة الامير بشير الشهابي الكبير، الا ان بريطانيا رفضت هذا المشروع، كما ان الدروز لا يرضون بعودة الشهابيين الى الحكم[٧٨].

بدأت المفاوضات بين الممثلين الاوربيين مع الباب العالي لاعادة تنظيم الجبل واقترح مترنيخ (MTERNCH) رئيس وزراء النمسا مشروعاً وبموجبه يقسم جبل لبنان الى منطقتين ادارتين (قائمقاميتين) شمالية يتولى ادارة شؤونها قائمقام ماروني، وجنوبية يتولى ادراتها قائمقام درزي، ويتبعان والي صيدا، وافقت الدول على المشروع واضطرت فرنسا ان تقبل به، وفي الاول من كانون الثاني عام ١٨٤٣م عين اسعد باشا والي صيدا، الامير حيدر اسماعيل ابي اللمع قائمقام على منطقة النصارى، والامير احمد ارسلان قائمقام على منطقة الدروز[٧٩].

رفض البرلمان الفرنسي التصديق على هذا المشروع وشعر بان شكل الحكم الجديد قد يلحق الحيف على لبنان وصرح "بوجوب الرجوع الى ادارة حكم تكون مطمئنة لاماني اهل لبنان"[٨٠].

يتبين لنا ان قيام الحرب الاولى هي تسوية اولى لحساب قديم اذ كان للصراع الفرنسيين والبريطانيين دور لا يستهان به في الاضطرابات وانتشار الفوضى، وذلك لايجاد نقاط استناد لهم في الجبل، فضلاً عما كان يولده بوارج حربية تابعة لهذه الدولة او تلك، وكان نزاع عملاء الدولتين يمثل النزاع التقليدي بين فرنسا وبريطانيا، فضلاً عن سياسة الباب العالي الجديدة، وهي سياسة الحكم المركزي المباشر وما يقتضيه من

---

74 المسعودي، المصدر السابق، ص٦٦؛ سعيد الصغير، المصدر السابق، ص٨٣؛ ملحم قربان، المصدر السابق، ج١، ص٧٦.

75 احمد طربين، المصدر السابق، ص٦٨.

76 فيليب حتي، في التاريخ، ص٥٢٧.

Iliya F Harik, op-cit, p.268.

78 جمال زكريا قاسم واخرون، المصدر السابق، ص٩٤-٩٥.

Malcolm. H Kerr, op-Cit, p.6-7; Iliya F.Harik, op-cit, p.271.

80 يوسف السودا، المصدر السابق، ص٢١٣.

[illegible] عناصر السكان كي يتسنى اخضاعها جميعاً، فضلاً عن كل هذا ان لبنان كان [illegible] قابلة لتقبل بذور الفتن ونموها، وان لجوءهم في كل آن وحين الى قناصل الدول [illegible] قد شجع هؤلاء على المضي في تدخلاتهم واسهموا في اعطائهم دوراً اساسياً في [illegible] مستقبل لبنان واللعب بمصيره.

الحرب الثانية عام ١٨٤٥م

انطوى نظام القائمقاميتين على صعوبات خطيرة اذ ان الكثير من الدروز كانوا [illegible] قائمقامية النصارى، وكذلك النصارى يسكنون قائمقامية الدروز، وهذا ما اكده [illegible] فرنسا في الاستانة بوركنه (BOURQUENEY) عندما كتب الى وزير خارجيته [illegible] (GEZO) قائلاً: "ان تطبيق نظام الحكم الجديد في المناطق المختلطة يلاقي [illegible] توقعناها ولكنها تفوق مخاوفنا الاولى"[٨١].

لم يمض وقت طويل على تطبيق نظام القائمقاميتين حتى اصطدم الدروز [illegible] مجدداً، اذ بدأها النصارى واحرقوا (١٤) قرية درزية، وفي ايار عام ١٨٤٥ [illegible] الحرب الاهلية وامتدت الى معظم المناطق[٨٢]، وعندما اشتد القتال بدا واضحاً ان [illegible] الدروز هي الارجح وتوالت الهزائم على الموارنة في عبية ودير القمر وجزين [illegible] وحاصبيا[٨٣]، واخذ الموارنة يطلبون من القناصل انقاذهم من الدروز وحلفائهم[٨٤]، [illegible] هذه الحرب التي اتخذت صفة الحرب الدينية حتى شهر تموز عام ١٨٤٥ [illegible] بالحرب الثانية[٨٥].

وجه ممثلوا الدول الكبرى مذكرة جماعية الى والي صيدا وجيهي باشا[٨٦] بسبب [illegible] الاخيرة، لفتوا فيها النظر الى عدم التزام جنود السلطان جانب الحياد مما سهل [illegible] وتفاقمه، كما وجهت الحكومة الفرنسية الاتهامات الى السلطات العثمانية اذ ارسل [illegible] الخارجية الفرنسي غيزو الى سفيره في الاستانه بوركنه مذكرة اشار فيها الى "ان [illegible] (العثمانية) غمست يدها في دم المسيحيين في ظروف عديدة واتت اعمالاً بربرية [illegible] لا يليق ادنى شك في تأمر الباب العالي مع اعداء الموارنة"[٨٧] .

[illegible] قربين، المصدر السابق، ص٧٧.

[illegible] حتي، في التاريخ، ص٥٢٩.

[83] Lliya F. Harik, op-cit, p.272.

[illegible] الى جانب الدروز في الحرب الارثوذكس وشجعهم القنصل الروسي بازيل وكذلك جماعات [illegible] من المسلمين السنة للمزيد ينظر: نظام القائمقاميتين والحرب الاهلية الثانية (١٨٤٢-١٨٤٥)، [illegible] منشور في الانترنت على الموقع الاتي:

http://www. Maqatel. com

[illegible] السعودي، المصدر السابق، ص٦٧.

[illegible] خلف اسعد باشا على ولاية صيدا في الثالث من ايار عام ١٨٤٥م

[illegible] يوسف السودا، المصدر السابق، ص٢١٨-٢١٩.

طرحت مسألة لبنان على البرلمان الفرنسي في جلسة ١٥تموز/ ١٨٤٥م وانهم احد الاعضاء وهو دي كارتر بارب (DE CATER PARB) الحكومة الفرنسية بالضعف وعدم قيامها بالواجب نحو اللبنانيين فاجابه غيزو، بأن السلطات العثمانية هي المسؤولة عن الحوادث الاخيرة وصرح ايضاً بان فرنسا لا تفتر عن مساعدة اللبنانيين في تحقيق امنيتهم وانها لا تتحول عن سياستها القديمة المعروفة من المطالبة باعادة امارة لبنان ما كانت عليه[٨٨].

دار جدال شديد في البرلمان الفرنسي وتصدى دي منتا لامبر (de mnti lamber) للسياسة الفرنسية نحو لبنان واشار في خطابه "ان فرنسا هي حامية مسيحي لبنان ولكنها عاجزة عن الانفراد بالتدخل في اموره"، وانتقد حكومته لانها فتحت باب مشاركة الدول الكبرى لفرنسا في تحديد مصير لبنان، اذ ان بريطانيا تساند الدروز وتعمل على ارغام المسيحيين في لبنان على الاقتناع بان الحماية الفرنسية لا تفيدهم وانما حماية بريطانيا لهم هي المفيدة[٨٩]. واجاب غيزو: "لا ريب انه لم يجل في خاطر المسيو دي منتا لامبر ان على فرنسا ان ترسل جنوداً الى سوريا لمنق القلاقل اذ ليس في وسعها ان تعمل سوى ما يوليها نفوذها بتنبيهها الحكومة العثمانية الى ما هو جار في سوريا لتراقب سلوك ماموريها وتشاد عليهم ليأتمورا بأمرها بحيث تكون ادارتها منظمة فعالة نفاذة. وليس اصعب من اجراء هذه الاصلاحات في تركيا فكيف يطلب الينا ادخالها بتمامها فجأة في بلاد اكثر اضطراباً من سائر ولايات السلطنة"[٩٠]. واكد غيزو دور حكومته في لبنان قائلاً: "ان سفير الملك في الاستانة انفذ حالاً حالاً الى شواطئ سوريا بارجتين.. وهي تنقل جميع المساعدات المادية باذلة كل ما بوسعها من العضد الادبي واذا اقتضى الامر سنلحقها ببوارج اخرى" واضاف "اننا باتفاقنا مع سائر الدول الاربع لنعمل سوية على صيانة المصالح المتوجب علينا حفظها في الشرق لم نكتب على انفسنا عهداً بعدم التدخل الا باتفاق الدول الخمس، ولم نغل ايدينا ولم نتنازل عن حقنا بالانفراد في حماية مسيحي الشرق كلما استطعناها وتوجبت علينا ولم نعدل عن اجراء مفعول هذه الحماية مستقلين كلما رأينا الظروف مناسبة لقد اقدمنا على تسوية بعض المسائل باتفاق الدول الخمس حين رأينا الاتفاق على تسويتها في العاجل طبقاً لمصالح الاهلين افضل من الانفراد بها وعلى تحققنا في وسعنا الاستقلال بتسويتها لم نترك مقدار ذرة من امتيازاتنا القديمة[٩١]. واضاف ايضاً "اننا بحاجة الى زيادة التوفيق بين ارائنا وآراء الحكومة البريطانية في الحوادث الجارية في لبنان وفي اسبابها والوسائل الجدية الكافلة معالجتها اذ يوجد بعض التباين في

---

88 المصدر نفسه، ص٢٢٠.
89 عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص٣٨٦.
90 فيليب وفريد الخازن، المصدر السابق، ص٢٠١-٢٠٢.
91 عبد العزيز سلمان نوار، المصدر السابق، ص٣٩٠-٣٩١.

الآراء بخصوصها بين معتمدي الحكومتين في سوريا وانا لا ارتاب بل اوكد ان الحكومتين تنتظمهما نية واحدة وهي عدم السماح بتجدد الفظائع التي جرت في لبنان وتسليم الموارنة ليد الدروز او بالعكس[٩٢].

من الخطاب الذي رد به الوزير الخارجية الفرنسي غيرز يتبين لنا ان الحكومة الفرنسية كانت قد حركت بعض قطعها الحربية الى لبنان تحت ستار تقديم المساعدة للموارنة الذين نكبهم الدروز وكانت تسعى الى ارسال جنود فرنسيين الى سوريا الا ان وزير الخارجية الفرنسية كان يدرك ان ذلك يتطلب موافقة بريطانيا على هذه الخطوة اذن كانت فرنسا تخطط باستمرار لاستعمار لبنان مستغلة العاطفة الدينية والمذهبية، لقد كانت هذه الدول الاستعمارية ذكية في استخدام المبادئ النبيلة والانسانية من اجل تحقيق اهدافها الاستعمارية.

بذلت الحكومة الفرنسية جهدها في سبيل اعادة الامارة اللبنانية والغاء اتفاق السابع من كانون الاول ١٨٤٢م فلم تجد التعضيد الكافي من سائر الدول[٩٣].

نتيجة لتلك الاحداث ارسلت الدولة العثمانية وزير خارجيتها شكيب افندي الى بيروت لتنفيذ سياسة تؤدي الى الاستقرار، اذ وصلها في ١٤ ايلول ١٨٤٥م وطلب من القناصل بريطانيا وفرنسا والنمسا وروسيا وبروسيا ان لا يتدخلوا مطلقاً في شؤون البلاد الداخلية واستدعاء رعاياهم فوراً بما فيهم الارساليات البروتستانتية والكاثوليكية في مهلة اقصاها عشرة ايام ريثما ينتهي من وضع نظام جديد[٩٤].

اعاد شكيب افندي تنظيم القائمقاميتين على اسس جديدة بحيث يكون لكل قائمقام مجلس يترأسه القائمقام نفسه من نائب القائمقام، وقاضي ومستشار عن كل من الوظائف الخمسة "السنة، الدروزن، الموارنة، الروم الارثوذكس، والروم الكاثوليك بينما اقتصر تمثيل الطائفة الشيعية في المجلس بمستشار[٩٥]، وقام شكيب افندي بتعيين اعضاء مجلسي القائمقاميتين وكان للمجلس في كل من القائمقاميتين مهمتان الاولى مالية وهي تقدير الضرائب وتوزيعها على المناطق وجبايتها والثانية قضائية وهي النظر في الدعاوى المحالة عليه من القائمقام وعرف هذا النظام بنظام شكيب افندي[٩٦].

إما فرنسا فوقفت موقف المتحفظ وأكدت بأنها تريد الرجوع الى وحدة السلطة المسيحية برئاسة آل شهاب وضرورة تفوق الموارنة لذلك فقد صرحت إنها تعد بان نظام

---

[٩٢] ابنيب وفريد الخازن، المصدر السابق، ص ٢٠٢-٢٠٣.

[٩٣] يوسف السودا، المصدر السابق، ص٢٢٠.

[٩٤] نظام القائمقاميتين والحرب الاهلية الثانية (١٨٤٢-١٨٤٥) بحث منشور في الانترنيت، المصدر السابق.

[٩٥] عدم اعتراف العثمانيين بانظمة شرعية خاصة بالشيعة للمزيد ينظر:
Iliya E. Harik, op. cit., p.272.

[96] Ibid., p.273.

شكيب افندي تدبير مؤقت، إما بقية الدول الأوروبية فكانت تريد وضع نهاية للمسألة اللبنانية، وبدأ لها ان نظام شكيب افندي هو أفضل نظام للتسوية في ذلك الوقت لأنه يؤيد استقلال الجماعات المسيحية في جبل لبنان وتعطيهم ضمانات جدية[٩٧] ووضع النظام الجديد إحكامه موضع التنفيذ في نهاية تشرين الأول عام ١٨٤٥م[٩٨].

٣. الحرب الاهلية اللبنانية عام ١٨٦٠م والموقف الدولي منها

كان النشاط الفرنسي الواسع النطاق في بلاد الشام كفيلاً بان يحدث العناصر المؤيدة لفرنسا في جبل لبنان لاثارة القلاقل، وكان العملاء الفرنسيون يبثون روح الشقاق والنزاع بين سكان الجبل، لتتيح لهم فرصة ارسال حملة عسكرية بحجة حماية المسيحيين[٩٩].

كذلك رأى البريطانيون ان مصلحة حكومتهم تعتمد على مساعدة الدروز وتقويتهم بعد ان فشلوا في كسب الموارنة لصالحهم[١٠٠]. فضلاً عن ان بعض التحريضات والاثارات قام بها البريطانيون والموظفين العثمانيين من اجل اثارة القلاقل والاضطرابات لكي تثبت للحكومات الاوروبية ان الحكم المباشر هو الحكم المناسب لهذه المنطقة المقلقة لراحة السلطات العثمانية والمسؤولة عن توتر علاقاتها من وقت لاخر مع الحكومات الاوروبية[١٠١].

كل هذه العوامل التي اثارت النعرات الطائفية ساعدت في حدوث اشتباكات بين الدروز والموارنة في نيسان عام ١٨٦٠ بسبب شجار بين اثنين من الاطفال هما ماروني ودرزي في بلدة بيت مري، ولكن اصحاب الشأن من اهالي البلاد هما الفتنة[١٠٢] لكن الاشتباكات تجددت في ايار من العام نفسه اذ قام فريق من سكان منطقة المتن بالهجوم على قرية صليما وقرنايل وبتخنية المختلطة السكان وطردوا سكانها الدروز، فقام الدروز بالهجوم على قرية بين مري واضرموا النار فيها وفي عدة قرى مسيحية اخرى، واشترك الجنود الاتراك في السلب والنهب والاعتداء على المسيحيين، وفي منطقة الحدث وبعبدا احرقت دور الشهابيين وقتل الامير شهابي الثالث، واضطر فريقاً من المسيحيين الى مغادرة قراهم التي نشبت فيها النيران[١٠٣].

---

97 احمد طربين، المصدر السابق، ص٩٢.
98 كمال سليمان الصليبي، المصدر السابق، ص١٠٥.
99 لوتسكي، تاريخ الاقطار العربية الحديث، ترجمة: عفيفة البستاني، دار التقدم، موسكو، ص١٦٢؛ احمد طربين، المصدر السابق، ص١٢٠-١٢٣.
100 فؤاد شاهين، المصدر السابق، ص٧٣.
101 جمال زكريا قاسم وآخرون، المصدر السابق، ص١١٤.
102 زاهية قدروة، المصدر السابق، ص٢٧٢.
103 عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص٤١٣-٤٣٢.

قادت الحرب الاهلية الى التخريب والتدمير على نطاق واسع، وانتشرت الاحداث من لبنان الى دمشق واصبحت هناك فتنة طائفية دموية، وجاءت من حوران وجدات درزية قوية لشد ازر دروز الجبل، وتحرج موقف الموارنة حتى اصبحت الحوادث في نظر القناصل مذابح للمسيحيين وعرفت بمذابح الستين[١٠٤]. حث والي سيدا خورشيد باشا الطرفين على وقف القتال ونجح في التوصيل الى صلح بين الطرفين في السادس من تموز عام ١٨٦٠م، اتفق فيه الجانبان على نسيان الماضي وعدم المطالبة بتعويض[١٠٥].

وصلت انباء حوادث لبنان الى اوروبا ووجدت صدى في اوساط الرأي العام، واتصلت الحكومة الفرنسية مع الدول بشأن التدخل في لبنان، اذ ارسل وزير الخارجية الفرنسي توفنيل (Thouvenel) في السادس من تموز من العام نفسه، تعليمات بهذا المعنى الى سفراء دولته في لندن وفينا وبطرسبرغ وبرلين ليعرضوا على تلك الدول رأس الحكومة الفرنسية بارسال لجنة الى لبنان، وتكون غايتها البحث في اسباب القتال وبيان درجة مسؤولية كل فريق، والتعويض عما جرى، جرى وايجاد نظام حكم يحول دون تكرار الحوادث الدامية[١٠٦].

ارسل توفنيل الى سفيره في الاستانة دولافاليت (do lavilet) يدعوه للاتصال بالخارجية العثمانية للمفاوضة مع الباب العالي ويؤكد اعتماد فرنسا عليها في اعادة الهدوء والنظام للجيل، وعلى اثر تلك المفاوضات ارسل السلطان العثماني عبد المجيد الى نابليون الثالث (Napoleon III)[١٠٧] رسالة في السادس عشر من العام نفسه اكد له فيها عزمه على اجراء العدل[١٠٨]. وبالفعل ارسل السلطان العثماني وزير خارجيته فؤاد باشا وخوله صلاحيات واسعة، وفي السابع عشر من تموز من العام نفسه، وصل الى

---

[١٠٤] سعيد الصغير، المصدر السابق، ص٨٦-٨٨.

[١٠٥] كمال سليمان الصليبي المصدر السابق، ص١٤٢.

[١٠٦] يوسف السودا، المصدر السابق، ص٢٤٩.

[١٠٧] نابليون الثالث (١٨٠٨-١٨٧٣) ولد في باريس وهو ابن لويس بونابرت ملك هولندا، حاول الاستيلاء على العرش في عام ١٨٣٦م وعام ١٨٤٠م الا انه فشل والقي القبض عليه، وفر بعدها الى لندن، وعندما نشبت الثورة في فرنسا عام ١٨٤٨م، رأى نابليون فيها فرصة جديدة لتحقيق مطلبه وبالفعل انتخب رئيساً للجمهورية الفرنسية في العالم نفسه، لم يستطع نابليون ان يكون مطلق الحكم عام ١٨٥١م بانقلاب ومدد رئاسته الى ١٠ سنوات واصبح حاكماً مطلقاً، في عهده شهدت فرنسا نمواً اقتصادياً سريع نتيجة للثورة الصناعية وتبنى نابليون هذا التطور، في عهده لعبت فرنسا دور محوري في حرب القرم وتوحيد ايطاليا.

The Mc Graw-Hill, op.cit., Vol8, p.67-69.

[١٠٨] طنيب وفريد الخازن، المصدر السابق، مج٢، ١٩١١، ص١٦٨؛ يوسف السودا المصدر السابق، ص٢٥٠.

بيروت ونجح في معالجة الامور ببراعة وحزم، فبطش بالمسؤولين عن الاحداث واعدم البعض وسجن البعض الاخر حتى استطاع ان يعيد الامن والاستقرار الى البلاد[١٠٩].

عزم نابليون الثالث على التدخل العسكري المباشر في جبل لبنان، واخبر وزير خارجيته توفنيل سفير بريطانيا في باريس كولي (Cowley) على قرار الامبراطور واضطرت الحكومة البريطانية ان توافق على مبدأ التدخل المسلح شريطة ان يكون ذا صفة ولية لا فرنسية ووفقاً لشروط يتفق عليها[١١٠].

وفي الثالث من اب عام ١٨٦٠ عقد مؤتمر في باريس اثر دعوة الحكومة الفرنسية واجتمع ممثلوا لدول الخمسة والدولة العثمانية[١١١] ووضع المجتمعون بروتوكولا حدد بموجبه صيغة الحملة وشروطها، واهم ما جاء فيها ان ترسل فرنسا نصف الحملة العسكرية المتفق عليها، وعقب وصول القوات الفرنسية الى بلاد الشام يتفق قائدها مع فؤاد باشا على اسلوب التحرك والعمل[١١٢]. وامر الامبراطور نابليون الثالث بحشد ستة الاف جندي في معسكر شالون (في فرنسا) والقى خطاباً على الجيش في السابع من اب لخص فيه مهمة الحملة واشار قائد الحملة دي بوفور (Beaufart De) بوضوح الى ان الحملة لا تسعى فقط الى تلك الحروب الصليبية كذلك الى تحقيق الاهداف التي فشل في الوصول اليها نبليون بونابرت[١١٣] ووصلت الحملة الفرنسية الى بيروت في السادس عشر من اب عام ١٨٦٠[١١٤].

بدأ قائد الحملة الفرنسية دي فوفور اتصالاته مع فؤاد باشا، وبدأت الصدامات بينهما لان فؤاد باشا كان يعمل على ان يلتزم دي بوفور حدوده وان يقنعه بانه لايحق على ارض فرنسية فاقترح عليه ان يتحرك في ديار الموارنة فقط وان يتحرك

A. L. Tibauoi, op. cit., p.129.

110 احمد طربين، المصدر السابق، ص١٣٧.

111 مثل فرنسا في المؤتمر: توفنيل، وعن بريطانيا كولي، وعن النمسا مترنيخ، وعن روسيا كيسيليف، وعن بروسيا الامير هنري دي روسي، وعن الدولة العثمانية احمد توفيق افندي. احمد طربين، المصدر السابق، ص١٣٩.

112 تم توقيع الاتفاقية في الخامس من ايلول عام ١٨٦٠م بعد ان حصل ممثلوا الدول على التوقيع من حكوماتهم، للمزيد حول بنود الاتفاق ينظر:
Tibauoi, op. cit., p.130.

113 خطاب الابمراطور نابليون الثالث الى جنود الحملة المرسلة الى بلاد الشام بتاريخ ١٨٦٠م، ينظر: عبد العزيز سليمان، المصدر السابق، ص٤٦٢؛ فيليب وفريد الخازن، المصدر السابق، مج٢، ص٢٥١؛
Carbarvon, op. cit., p.121.

114 يوسف الصواد، المصدر السابق، ص٢٥١.

باشا في ديار الدروز فرد دي بوفور على لذلك بان مهمة الحملة هي تأديب الدروز فقط وانه لابد من ملاحقة الدروز الا ان البريطانيون وقفوا الى جانب الدروز واخذوا يبررون الاعمال التي قاموا بها والقوا بالائمة على الموارنة لان بريطانيا كانت تخشى من ان يوسع الفرنسيون دائرة نشاطهم في بلاد الشام[١١٥].

التقى فؤاد باشا بالجنرال دي بوفور في جب جنين في البقاع ودعاه الى تضيق دائرة عملياته معترضاً على محاولة التغلغل داخل سوريا، بحجة انه يستحيل هليه تهدئة الاحوال وتوطيد الامن في الوقت الذي يرتكب المسحييون سلسلة من الجرائم والتعديات في اعقاب الحملة الامر الذي يؤدي الى تجدد الاشتباكات الدموية وان البريطانيين لن يتخلوا عن الدروز فتتوتر العلاقات بين الطرفين فاضطر دي بوفور ان يوقف عملياته وطلب منه فؤاد باشا الا يتعدى حدود اتفاقية الثالث من اب عام ١٨٦٠[١١٦].

ارسلت الدول الاوروبية فضلاً عن الحملة العسكرية لجنة دولية تمثل الدول الكبرى الاوروبية الخمسة[١١٧]، برئاسة فؤاد باشا وزير الخارجية مندوباً عن السلطان الى بيروت وعقدت اللجنة اجتماعها الاول في الخامس من تشرين الاول عام ١٨٦٠، واحصرت مهمتها كما حددها وزير الخارجية الفرنسية في التحقيق عن حوادث السنين والحليولة دون تجددها وتقدير الخسائر وايجاد الوسائل للتحقيق وتعويض المتكوبين واجراء تعديلات على نظام جبل لبنان[١١٨].

انشغلت اللجنة الدولية بوضع مشروع تنظيم جبل لبنان، ففرنسا كانت تسعى جاهدة الى توحيد لبنان تحت حكم مسيحي كما كان عليه الامر ايام بشير الشهابي الكبير، الا ان هذا المشروع رفضته كل من بريطانيا والدولة العثمانية[١١٩].

اقترحت بريطانيا ان يقسم لبنان الى ثلاث قائمقاميات مارونية ودرزية وارثوذكسية، وقفت فرنسا ضد هذا المشروع وقامت بمساعي دبلوماسية حثيثة في التصدي له، واقترحت فرنسا مكانه مشروعاً اخر يعد لبنان مقاطعه تتمتع باستقلال ذاتي ويترأسها حكام لبناني من الطائفة المارونية، وقررت الدول الخمسة الكبرى الموافقة على هذا المشروع مقترحة فيه ان يكون الحكام عثماني مسلماً، وتقرر اخيراً بناء اقتراح غلوتز (Glotez) سفير روسيا والذي يقضي بان يقوم في لبنان حكام مسيحي يعينه الباب العالي[١٢٠].

---

[١١٥] [illegible] زكريا قاسم وآخرون، المصدر السابق، ص١١٧-١١٨.

[١١٦] [illegible] المصدر السابق، ص١٤٧.

[١١٧] [illegible] اللجنة عن فرنسا بيكلار، وعن بريطانيا دفرين، وعن روسيا دي نوفيكوف، وعن [illegible] وعن بروسيا دي ريفوس، ينظر: احمد طربين، المصدر السابق، ص١٥٦.

[١١٨] [illegible] نفسه، ص١٥٦.

[١١٩] [illegible] سليمان الصليبي، المصدر السابق، ص١٤٦.

[١٢٠] [illegible] المصدر السابق، ص٩٩ وما بعدها.

توصلت اللجنة الدولية بعد ان عقدت ٢٩ جلسة في بيروت والاستانة الى اقرار نظام للبنان، تم التوقيع عليه في التاسع من حيزران عام ١٨٦١م في الاستانة الذي عرف بـ"النظام الاساسي" وبموجبه اصبح جبل لبنان سنجقا (متصرفية) عثمانيا له استقلاله الداخلي، على ان تضمن كيانه الدول الستة الموقعة على النظام، وعملاً باقتراح الحكومة الفرنسية تم تعين داود باشا في ١٢ حزيران ١٨٦١م اول متصرف لمدة ثلاث سنوات[١٢١]، وفي ايلول عام ١٨٦٤م اعيد النظر في النظام الاساسي وادخلت عليه تعديلات جديدة وبموجبه مددت ولاية المتصرف الى خمسة سنوات بدلاً من ثلاث سنوات[١٢٢].

وهكذا حققت فرنسا انتصاراً لا يتسهان به حيث نجحت في ايجاد سلطة مسيحية واحدة في الجبل مستقلة عن والي صيدا او والي دمشق ومرتبطة مباشرة بالاستانة فضلاً عن الضمانات الدولية. واعتز الموارنة في لبنان بعلاقتهم بفرنسا ولم يحاولوا اخفائها ولقبوها بـ"الام الحنون"[١٢٣].

الخاتمة:

خلصت هذه الدراسة الى جملة من النتائج لعل من ابرزها:

١. ان مرحلة الدراسة الممتدة (١٨٤١-١٨٦٠)، تعد مرحلة متميزة في تاريخ لبنان، بل هي من اخطر المراحل بسبب اقرارها علناً للمبادئ والتقسيمات الطائفية، والتي تطورت الى الحروب الاهلية الثلاث التي شهدتها البلاد ابان تلك المرحلة.
٢. كشفت الدراسة الاساليب المتعددة التي سلكت السياسة الفرنسية بحجة الدفاع عن مصالح وحماية الاقليات المسيحية في لبنان، وكانت تهدف من وراء ذلك التغلغل في لبنان وتحطيم الوحدة الوطنية بين ابنائه.
٣. تبين من خلال الدراسة ان فرنسا قد استغلت مكونات الشعب اللبناني المختلفة فتدخلت في تشجيع فئة على اخرى من اجل خلق التجزئة وتكريس السياسة الطائفية في البلاد.
٤. افصحت هذه الدراسة عن الوسائل السياسية والاقتصادية والمالية التي جربتها كل الدول الاوروبية في مرحلة الحروب الاهلية، بما يكفل لها بسط نفوذها في المنطقة.

---

121 جوناثان راندال، حرب الالف عام في لبنان، ترجمة: فندي الشعار، دار المروج، بيروت ١٩٨٤، ص٥٨؛ A. H. Hourani, Syria and Lebanon, Apolitcal Essay, Beirut, New Impression, 1968, p.15.

122 نادر العطار، سوريا في العصور الحديثة، مطبعة الانشاء، دمشق، ج١، ص٢٢٤؛ نقولا زيادة المتصرفية الجمهورية، مجلة تاريخ العرب والعالم، السنة الخامسة، العدد ٥٢، شباط ١٩٨٣، ص٣٨؛ Ilya F. Harik, op. cit., p.276.

123 جوناثان راندال، المصدر السابق، ص٦٢؛ كمال سليمان الصليبي، المصدر السابق، ص٢٥٧.